

## أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية

د. مصطفى أحمد عبد العليم

كلية دار العلوم - قسم النحو والصرف والعروض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فعلى الرغم مما كتب عن سيبويه قديماً وحديثاً، وعلى كثرة ما ألف عنه من كتب ودراسات فإن كتابه يظل نبعاً ثرياً لكل من يرتاد أفاقاً جديدة في الدرس النحوي، فهو كما وصفه المبرد " بحر (1) لا تنتهي عجائبه، ولا تنتضي غرائبه.

ونريد أن نكشف الستار عن جانب جديد من جوانب البحث النحوي لدى سيبويه، وهو الجانب التداولي الذي يعنى بدراسة اللغة في علاقتها بمستعملها المتحدثين بها، والمستقبلين لها، وعلاقتها بظروف استخدامها الزمانية والمكانية، والاجتماعية والنفسية.

لقد أكد علماء التداولية المعاصرون أهمية دراسة العلاقة بين المتكلم والمخاطب والسياق في التحليل النصي، وتحدثوا في إطار ذلك عن قصد المتكلم، والغرض من الخطاب، وأهمية التمييز بين المعنى المراد والمعنى الحرفي، كما تناولوا مبدأ التعاون بين طرفي الخطاب، والتأدب في التعبير، وملاءمة الكلام لظروف المخاطب (2).

وقد زعم بعض الباحثين أن هذه النظريات والآراء من ابتكار الغرب، وأن العرب ليس لهم نصيب منها، كما ادعى بعضهم أن النحو العربي كان نحواً معيارياً تجريبياً منفصلاً عن الواقع اللغوي، مع أن البحث المتأنى العميق يثبت عكس ذلك -وهو أن العرب كانت لهم عناية وافية بالخطاب وأركانه الأساسية: المتكلم، والمخاطب، والسياق، وهذا واضح لمن يتمعن جهود المفسرين والبلاغيين والنحاة والأصوليين.

ومن المقولات الأساسية في البلاغة العربية أن «لكل مقام مقال»، وقيل في تعريفها: «إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته» وأفاض علماؤنا القدامى في الحديث عن قصد المتكلم وأغراض الخطاب، ومراعاة حال المخاطب، وأثر السياق في جلاء المعاني، والمناسبة بصورها المختلفة، وميزوا بين الأسلوبين الخبري والإنشائي بما يشبه إلى حد كبير صنيع علماء التداولية اليوم.

ونريد في هذه الإطلالة أن نبرز أهم معالم المنهج التداولي عند النحاة العرب بغية الربط بين الجهود العربية، والجهود الغربية في هذا الصدد، وذلك من خلال بحثنا الموسوم بـ

«أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه -دراسة تداولية».

والمقصود بمراعاة المخاطب الاهتمام بأحواله المختلفة من حيث العلم والجهل، والشك واليقين، والقرب والبعد، والعلو والدنو وغير ذلك، والمراد بالتوجيه النحوي تحليل التراكيب وما يعرض لها من عوارض مختلفة كالحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، وما تحمله من دلالات متغيرة كالاستفهام، والأمر، والنهي، والعرض، والتحضيض، والتعجب، والمدح، والذم، والنداء، والندبة، والاستغاثة، ونحو ذلك. ومن هنا جاءت خطة البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة، يتناول الفصل الأول " أثر مراعاة المخاطب في توجيه

العوارض التركيبية" من خلال أربعة مباحث:

الأول: في الحذف.

د. مصطفى أحمد عبد العليم  
والثاني: في الزيادة.  
والثالث: في الترتيب.  
والرابع: في وظائف النعت.  
ويعالج الفصل الثاني أثر مراعاة المخاطب في توجيه الأساليب النحوية عند سيبويه من خلال مبحثين:  
الأول: في الأسلوب الخيري.  
والثاني: في الأساليب الإنشائية.  
وأخيرًا الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

\*\*\*

## الفصل الأول

### أثر مراعاة المخاطب في توجيه العوارض التركيبية

المقصود بالعوارض التركيبية ما يعتري التركيب من تغيرات طارئة مثل: الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، ونحو ذلك، وقد بدا أن أقسمه إلى أربعة مباحث.

\*\*\*

## المبحث الأول

### أثر مراعاة المخاطب في الحذف

تحدث سيبويه كثيرًا عن الحذف، وربطه بعلم المخاطب وكأنه يؤسس للقاعدة الشهيرة التي عبر عنها ابن مالك بقوله (3):

**وحذف ما يعلم جائز**

**كما تقول زيد بعد من عندكما**

وقد تناول سيبويه الحذف بنوعيه الواجب والجائز، وأشار إلى مواضعه المختلفة في الأفعال والأسماء، وكان يعبر عنه طورًا بالحذف، وطورًا بالإضمار، وطورًا بالاستغناء، وهو في أكثر الأمر يربطه بالسياقين المقالي والحالي. فمن الحذف الجائز

### 1- حذف المضاف كما في قول الشاعر (4):

**أكل امرئ تحسبين امرًا**

**ونارٍ توقد بالليل نارًا**

قال سيبويه: «فاستغنيت عن تثنية كل لذكرك إياه في أول الكلام، ولقلة التباسه على المخاطب، وجاز كما جاز في قولك، ما مثل عبد الله يقول ذاك ولا أخيه، وإن شئت قلت: ولا مثل أخيه» (5).

إن سيبويه يشير هنا إلى أن المخاطب يعلم المحذوف لذكره في أول الكلام، وكأن المخاطب هنا قد استغنى بالسياق المقالي عنه.  
وهو يلتقي مع أصحاب النظرية التداولية في مفهومين:

الأول: ما يسمونه بالافتراض المسبق *pre-supposition* ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها، ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة» (6). ومن الباحثين من يسميها الإضمارات التداولية (7). الثاني: السياق اللغوي أو المقالي وهو أحد أنواع السياق التي يذكرها علماء التداولية وغيرهم في مقابل السياق غير اللغوي، وهو السياق المقامي الاجتماعي الثقافي (8)، ويتشكل السياق عمومًا في علم تحليل الخطاب من المتكلم، والمستمع، والحضور، والزمان، والمكان، والموضوع، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين، كالإشارات، والإيماءات، وتعبيرات الوجه، والقناة الموصلة، والنظام أي الأسلوب اللغوي المستعمل (9).

## 2- حذف الفعل:

ومن إشارة سيبويه إلى السياق الخارجي الذي يسمونه السياق الحالي أو غير اللغوي قوله تحت باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره...: «وذلك قولك: زيدًا، وعمراً، ورأسه، وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدًا، أي أوقع عمك بزيد، أو رأيت رجلاً يقول: أضرب شر الناس فقلت: زيدًا، أو رأيت رجلاً يحدث حديثاً فقطعه، فقلت: حديثك» (10). ومن هذا القبيل قوله: "ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال. أو رأيت ضرباً فقلت على وجه التفاؤل: عبد الله، أي يقع بعبد الله أو بعبد الله يكون. ومثل ذلك أن ترى رجلاً يريد أن يوقع فعلاً، أو رأيته في حال رجل قد أوقع فعلاً، أو أخبرت عنه بفعل، فتقول: زيدًا. تريد: اضرب زيدًا، أو أضرب زيدًا" (11).

فمن الواضح هنا أن سيبويه يربط بين المخاطب وسياق الحال، وهو يرى أن هذا السياق مصدر من مصادر علم المخاطب يستغنى به عن ذكر الفعل. وسيبويه يحرص على رسم الصورة المرئية المشاهدة ليبين أنها تغني عن ذكر بعض الكلام، وهو يلتقي هنا مع هايمز Hymes في تناوله لخصائص السياق ومنها المقام، وهو زمان ومكان الحدث التواصلية، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات، والإيماءات، وتعبيرات الوجه (12).

يقول سيبويه في تناوله لحذف الفعل في باب النهي: «وأما النهي فإنه التحذير كقولك: الأسد الأسد، والجدار الجدار، والصبي الصبي، وإنما نهيت أن يقرب الجدار المخوف المائل، أو يقرب الأسد، أو يوطئ الصبي، وإن شاء أظهر في هذه الأشياء ما أضم من الفعل فقال: اضرب زيدًا، واشتم عمراً، ولا توطئ الصبي واحذر الجدار، ولا تقرب الأسد» (13).

ولا يكتفي سيبويه برؤية البصر، وإنما يضم إليها بقية معطيات الحواس الخمس لتكتمل صورة السياق الخارجي الذي يستغنى منه المخاطب علمه، وذلك في حديثه عن حذف المبتدأ، «وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربّي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت... أو مسست جسداً أو شممت ريحاً فقلت: زيد أو المسك، أو ذقت طعاماً فقلت:

د. مصطفى أحمد عبد العليم

العسل» (14). إن سيبويه يربط هنا بين التراكيب اللغوية والسياق الخارجي ربطاً وثيقاً، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على واقعية التحليل النحوي عنده. وقد يكون مصدر العلم عند المخاطب السياق العام أو الاستعمال اللغوي لدى جماعة المتكلمين باللغة كما في قول العرب في مثل من أمثالهم: «اللهم ضبعاً وذنباً إذا كان يدعو بذلك على غنم قوم. قال سيبويه: «وإذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعاً وذنباً. وكلهم يفسر ما ينوي، وإنما سهل تفسيره عندهم؛ لأن المضمرة قد استعملت في هذا الموضع عندهم بإظهار» (15).

إن سيبويه يشير في هذا النص إلى ثلاثة أمور:

الأول: قصد المتكلم وهو ركن أساس من أركان الخطاب التداولي.

الثاني: أن المتكلم استند إلى السياق الاجتماعي العام.

الثالث: أن العربي المتكلم باللغة قد فسر ما يفصده، ويسمى هذا عند علماء أصول النحو بالنص على العلة (16).

ومما يرجع فيه علم المخاطب إلى السياق الاجتماعي العام قول الناس: كان البر قفيزين، وكان السمن منوين، قال سيبويه: «فإنما استغنوا هاهنا عن ذكر الدرهم لما في صدورهم من علمه، ولأن الدرهم هو الذي يسعر عليه» (17).

إن العلم هنا لا يتعلق بمخاطب واحد، وإنما يتعلق بعموم المخاطبين.

### 3 - الحذف في الاستثناء:

ويهتم سيبويه أيضاً بما يدور في خلد المخاطب، وما يعتريه من وهم فيبدهه المتكلم، وذلك في تناوله لموضوع الإضمار في الاستثناء ففي جملة "ما أتاني القوم ليس زيداً"، و"أتوني لا يكون زيداً"، و"ما أتاني أحد لا يكون زيداً" يرى سيبويه أنه عند قول المتكلم: "أتوني" كأنه صار المخاطب عنده قد وقع في خلد أن بعض الأتئين زيد حتى كأنه قال: "بعضهم زيد"، فكانه قال: "ليس بعضهم زيداً"، وترك إظهار بعض استثناءً» (18).

إنه هنا يصور لنا التفاعل العقلي وحديث النفس بين المتكلم والمخاطب، ويكشف عما سبق أن ألمحنا إليه في النظرية التداولية من الافتراض المسبق، والإضمارات القولية، ويفيض الكتاب بأمثلة من هذا التفاعل بين طرفي الخطاب حيث يورد كلام المتكلم، ويورد رد المخاطب عليه حتى كأنهما يشتركان في صنع جملة واحدة يقول سيبويه: «فإنما رأيت رجلاً قاصداً إلى مكان أو طالباً أمراً فقلت: مرحباً وأهلاً أي: أدركت ذلك وأصبحت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه، وكأنه صار بدلاً من رحبت بلادك وأهلت ... ويقول الراد: وبك وأهلاً وسهلاً، وبك أهلاً فإذا قال: وبك وأهلاً فكانه قد لفظ بمرحباً بك وأهلاً» (19).

إن سيبويه هنا في حديثه عن التفاعل بين طرفي الخطاب يلتقي مع النظرية التداولية في مبدأ من أهم مبادئها وهو التعاون Cooperative principles الذي بلوره جرابيس (20)، ويقصد به ذلك المبدأ الذي يركز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه. وقد صاغه على النحو الآتي:

«ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه». وقد فرغ عنه عدداً من القواعد الرئيسية، وهي:

- قاعدة الكم.

- قاعدة النوع.
- قاعدة المناسبة.
- قاعدة الكيف (21).

#### 4- حذف المفعول به:

تناول سيبويه الحذف في مكملات الجملة الفعلية، ومنها المفعول به كما في قوله: «ومما يقوي ترك هذا - يعني حذف المفعول به - لعلم المخاطب قوله عز وجل: (كُذِّبَتْ وَوَوُوُّوُ وَوُوُّوُ وَوُوُّوُ) [الأحزاب: 35]، فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه ومثل ذلك: (ونخلع ونترك من يفجرك) (22). وسيبويه هنا يتحدث عن حذف المفعول مع العامل الثاني استغناء بذكره مع العامل الأول، ويوضح أن السبب في ذلك هو علم المخاطب.

#### 5- حذف المصدر (المفعول المطلق):

ومما يحذف لدلالة سياق الحال عليه المفعول المطلق، يقول سيبويه: "ومن ذلك قولك للرجل تراه يعالج شيئاً: رويداً، إنما تريد: علاجاً رويداً. فهذا على وجه الحال إلا أن يظهر الموصوف فيكون على الحال وعلى غير الحال" (23). وهو يعني بغير الحال المصدر.

#### 6- حذف المنادى:

وقد يحذف المنادى وأداة النداء استغناء بعلم المخاطب وإقباله على المتكلم، وفي ذلك يقول صاحب الكتاب: "ومما يدلُّك على أنه ليس باسم قول العرب: أَرَأَيْتَكَ فَلانًا ما حاله، فالتاء علامة المضمر المخاطب المرفوع، ولو لم تلحق الكاف كنت مستغنياً كاستغنائك حين كان المخاطب مقبلاً عليك عن قولك: يا زيد" (24). إن التفاعل هنا بين المتكلم والمخاطب واضح في رؤية سيبويه، ويؤثر تأثيراً مباشراً في البنية اللغوية، والتوجيه النحوي لها.

\*\*\*

### المبحث الثاني

#### أثر مراعاة المخاطب في زيادة الكلام

قد يلجأ المتكلم إلى زيادة بعض الأحرف والألفاظ لإحداث تأثير ما في المخاطب، أو توضيح أمر له، أو كشف غموض أو لبس في الكلام، ومن ذلك زيادة الكاف لتأكيد الخطاب، وزيادة أحرف المد للإنكار، والهاء للوقف، والألف والهاء للندبة، ويحتوي كتاب سيبويه على أمثلة كثيرة من هذه الأحرف والألفاظ الزائدة مراعاة لحال المخاطب، وفيما يلي عرض لأهم هذه الزوائد.

#### 1- زيادة الكاف للتأكيد:

يرى سيبويه أن الكاف في نحو «أرأيتك فلاناً» زائدة للتأكيد، وهو يعني أنها تؤكد الخطاب أو تؤكد ضمير المخاطب الذي قبلها، وهو التاء، ويشبهه سيبويه حال الكاف هنا

د. مصطفى أحمد عبد العليم

بحال النداء في قول الرجل: «يا فلان أنت تفعل كذا»، حيث يمكن الاستغناء عن النداء اكتفاء بالجملة التي بعده، حيث تشتمل على ضمير المخاطب، وكأن النداء صار هنا مجرد أداة للتنبيه، والتنبيه معنى من المعاني التداولية التي يبتغيها المتكلم من المخاطب، يقول سيوييه في تعليقه على قول العرب: «أرأيتك فلاناً»؛ «التاء علامة المضمرة المخاطب المرفوع، ولو لم تلحق الكاف كنت مستغنياً كاستغنائك حين كان المخاطب مقبلاً عليك عن قولك: يا زيد»<sup>(25)</sup>. وعلى نحو من ذلك يرى سيوييه أن الكاف في «رويدك» قد تأتي زائدة للتأكيد إذا خوطب بها من لا يخاف أن يلتبس بسواه، ومعنى ذلك أنها تزداد لمعنيين:

**الأول:** لدفع اللبس إذا اختلط المخاطب بغيره.

**الثاني:** تأكيد الخطاب إذا لم يختلط المخاطب بغيره.

ويقارن سيوييه أيضاً بين «رويدك» والنداء بما يدل على أن النداء قد يأتي زائداً لمجرد التأكيد والتنبيه إذا اشتملت الجملة بعده على علامات الخطاب يقول سيوييه: «وقد تقول أيضاً: "رويدك" لمن لا يخاف أن يلتبس بسواه توكيداً. كما تقول للمقبل عليك المنصت لك أنت تفعل ذاك يا فلان توكيداً»<sup>(26)</sup>.

والتوكيد فعل كلامي وغرض تواصله من الأغراض المعدودة في النظرية التداولية لأن الهدف منه تثبيت الشيء في نفس المخاطب، ويندرج تحت ما يسمى بلغة التداوليين المعاصرين "التقريريات" assertives<sup>(27)</sup>

ويذكر ابن السراج أن المعنى الذي تجيء له الكاف هنا هو التبيين يعني تبيين حال المخاطب يقول: «وتلحق رويد الكاف وهي في موضع «افعل» تبييناً لا ضميراً فتقول: رويدك، ورويدكم؛ وإنما تلحقها لتبين المخاطب المخصوص»<sup>(28)</sup>.

### 2-زيادة السين والشين بعد الكاف تبييناً للمخاطب:

أشار سيوييه إلى أن بعض العرب يلحق الكاف شيئاً أو شيئاً رغبة في البيان وتأكيداً للفصل بين المذكر والمؤنث، وهذا من قبيل مراعاة نوع المخاطب -وهو من خصائص العربية - يقول سيوييه: «واعلم أن ناساً من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث، وذلك أعطيتكس وأكرمس، فإذا وصلوا لم يجيئوا بها؛ لأن الكسرة تبيين»<sup>(29)</sup>. وتسمى هذه الظاهرة بالكسرة وهي لهجة عربية معروفة<sup>(30)</sup> تنسب إلى ربيعة، ويقول سيوييه عن إلحاق الشين: «وقوم يلحقون الشين ليبينوا الكسرة في الوقف كما أبدلوا مكانها للبيان، وذلك قولهم أعطيتكش، وأكرمكش»<sup>(31)</sup> وتعرف هذه الظاهرة بالكشكشة وهي عند أسد وربيعه ومضر<sup>(32)</sup>.

ويستفاد من هذا أن التبيين غرض من الأغراض التداولية التي اعتنى بها سيوييه.

### 3-زيادة أحرف المد بعد الكاف:

ومن العرب من يلحق كاف الخطاب ألفا في التذكير وياء في التأنيث للغرض نفسه، وهو الفصل بين المذكر والمؤنث، بل يرى سيوييه أن ذلك أشد توكيداً في الفصل بين المذكر والمؤنث<sup>(33)</sup>، ومن ذلك قولهم: «أعطيكها وأعطيكه للمؤنث، وأعطيكاه وأعطيكها للمذكر»<sup>(34)</sup>.

### 4-زيادة الإنكار:

أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية  
تحدث سيبويه كثيراً عن الإنكار الذي يصحب أسلوب الاستفهام، وما يترتب عليه  
من تغير في التراكيب.

والإنكار من الأغراض التداولية التي يتفاعل بها كل من المتكلم والمخاطب، ويدخل  
لدى علماء التداولية ضمن ما يسمى بـ "البوحيات" expressives .  
وقد ذكر سيبويه هذا تحت عنوان ما تلحقه الزيادة في الاستفهام إذا أنكرت أن تثبت  
رأيه على ما ذكر أو تنكر أن يكون رأيه على خلاف ما ذكر (35)، ونلاحظ من هذا العنوان  
ومما يندرج تحته أن سيبويه يستحضر في حديثه طرفي الحوار وهما المتكلم  
والمخاطب (36).

وهو يقرر أن زيادة الإنكار تتبع الحرف الذي قبلها، فإن كان مضمومًا فهي واو،  
وإن كان مكسورًا فهي ياء، وإن كان مفتوحًا فهي ألف، وإن كان ساكنًا تحرك. وقد ذكر  
أمثلة لكل حالة، فمثال الساكن الذي يحرك قول الرجل: ضربت زيدًا، فيقول محاوره منكراً  
لقوله: أزيدنيه؟ فهنا زيدت ياء وهاء للإنكار، وتحركت نون التنوين بعد سكونها، ويرى  
سيبويه أن هذه الزيادة صارت علامة للإنكار كعلامة الندبة (37).

وإن ذكر الاسم مجرورًا جررته، أو منصوبًا نصبته، أو مرفوعًا رفعتة، وذلك قولك  
إذا قال: رأيت زيدًا: أزيدنيه؟ وإذا قال: مررت بزيد: أزيدنيه؟ وإذا قال: هذا زيد: أزيدنيه؟  
لأنك تسأل عما وضع كلامه عليه (38).

ويفهم من كلام سيبويه هنا أن المخاطب يضع كلامه وفق كلام المتكلم، وبهذا يتحقق  
ما يدعو إليه "جرايس" من مبدأ الملاءمة. وهي نظرية تداولية معرفية أرسى معالمها كل  
من اللساني البريطاني (ديردر ولسن)، والفرنسي (دان سبربر) وتعني أن يجعل المتكلم  
مشاركته ملائمة للطبقات المقامية المختلفة (39) لكن سيبويه هنا يعبر عن أقصى درجات  
الملاءمة، وهي مطابقة كلام المسئول لكلام السائل.

كما يفهم أيضًا أن الإنكار بوصفه معنى تداوليًا له زيادة تشير إليه، وأن هذه الزيادة  
تتنوع تبعًا لتنوع التراكيب الواردة في الخطاب التحويري.

ويميز سيبويه بين الاستفهام الإنكاري والاستفهام الاسترشادي، وهو يرى أن  
الاسترشاد لا يتأتى معه زيادة المد والهاء، يقول: «وإن كنت متثبًا مسترشدًا إذا قال:  
ضربت زيدًا، فإنك لا تلحق الزيادة، وإذا قال: ضربته فقلت: أقلت: ضربته؟ لم تلحق  
الزيادة أيضًا؛ لأنك إنما أوقعت حرف الاستفهام على «قلت»، ولم يكن من كلام المسئول،  
وإنما جاء على الاسترشاد لا على الإنكار» (40).

إن الإنكار والاسترشاد الذي يشير إليه سيبويه هو مما يسميه علماء التداولية  
المعاصرون بالأفعال الإنجازية، ويقصدون بها العبارات التي تحمل وراء معناها الحرفي  
معنى مستلزمًا (41).

#### 5-زيادة هاء الوقف:

أشار سيبويه إلى أن بعض العرب يزيدون هاء في الكلمات التي حذف شيء من  
أواخرها نحو ع، وق، وف حيث يقال: عه، وقه، وفه، وذلك محافظة على الفعل من  
الإخلال بشكله (42)، ومحافظة على حركة آخره، والهدف من الزيادة هنا هو بيان الحركة  
والمقصود بالبيان هو المخاطب.

ومنهم من يزيد الهاء على ما آخره حرف خفي كالنون في نحو "ضاربانه"، و"هم  
مسلّمونه"، و"هته" و"ضربته" و"أينه"؛ لأنها -كما يرى سيبويه- (43) نون قبلها ساكن،  
وليست بنون تغير للإعراب يعني فيها خفاء من وجهين: من وجه أنها نون، ومن وجه أنها

د. مصطفى أحمد عبد العليم  
ليست حرف إعراب. والأمر كذلك في الميم حيث يقولون: ثَمَّة؛ لأن في هذا الحرف -يعني الميم- ما في أين من سكون ما قبل النون وهي أشبه الحروف بها في الصوت.  
ومن ذلك قولهم: هَلَمَّه يريدون: هَلَمَّ، ومنه في النون إئْه، ومعناها: أجل، قال الشاعر (44).

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت إنه (45)

وقالوا في الوقف على "كيف" و"ليت" و"العل": كيفه، وليته، ولعله «لما لم يكن حرفاً يتصرف للإعراب وكان ما قبلها ساكناً» (46).  
وكل هذه الأمثلة تكشف عن رغبة المتكلم في إبانة كلماته حتى تكون واضحة للمتلقى.

#### 6-زيادة الألف للوقف:

ذكر سيبويه أن من العرب من يزيد ألفا للوقف بدلاً من الهاء، وذلك لأن الهاء أقرب المخارج إليها، وهي شبيهة بها، ومن ذلك قولهم: حيها، فإذا وصلوا قالوا: حيهل بعمر، ومنه قولهم: أنا فإذا وصلوا قالوا: أن أقول ذلك، ولا يكون في الوقف في أنا إلا الألف» (47).

ويفهم من ذلك أن ألف "أنا" إنما جاءت في الأصل لإظهار حركة النون في الوقف كيلا تخفى» (48).

#### 7-زيادة الألف والهاء في الندبة:

يرى سيبويه أن الهاء في الندبة إنما هي في الأصل هاء سكت جاءت لبيان ألف الإطلاق؛ لأنه موضع تصويت، وتبيين فالزموها الهاء في الوقف لذلك، وتركوها في الوصل (49). ويقول عن ألف الندبة: «فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها» (50) فأما ما تلحقه الألف فقولك: وازيداه، وقد تصير هذه الألف ياء أو واوًا للترفة بين المذكر والمؤنث، والترفة هنا مقصد خطابي تداولي حتى لا يلتبس الأمر على المخاطب، ومن ذلك قولهم: واطهر هوه إذا أضفت الظهر إلى مذكر، وواظهرهاه إذا أضفت الظهر إلى مؤنث (51).  
وتقول: واغلامكيه إذا أضفت الغلام إلى مؤنث، وواغلامكاه إذا أضفت الغلام إلى مذكر» (52).

والندبة فعل كلامي ينتمي إلى ما يسمى عند التداولين بالبوحيات "

expressives (53)

وكل ذلك يدل على أثر مراعاة المخاطب في البنية التركيبية؛ لأن الهدف من هذه الأحرف هو البيان والتمييز بين نوعي المخاطب تذكيرًا وتأنينًا.

#### 8-زيادة الهاء في النداء:

وقد تزداد الهاء في النداء أيضًا بعد الألف المبدلة من ياء المتكلم إيضاحًا لها؛ لأنها خفية، ومن ذلك قولهم: يا ربا تجاوز عنا، ويا غلاما لا تفعل، فإذا وقفت قلت: يا غلاماه، وإنما ألحقت الهاء ليكون أوضح للألف؛ لأنها خفية» (54).  
ويلاحظ هنا أن النداء خطاب، وأنه موضع اتصال المتكلم بالمخاطب، وأن زيادة الهاء فيه إنما هو مظهر من مظاهر مراعاة المخاطب في البنية التركيبية.  
والنداء في حد ذاته فعل تداولي وغرض تواصلية يتم به اتصال المتكلم بالمخاطب، وهو أحد أنواع الإنشاء الطلبي.

أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية  
وبهذا يتضح أن كثيراً من الأبواب النحوية التي درست بنهج تقليدي يمكن أن تطرح  
طرحاً جديداً في ضوء النظريات الحديثة.

\*\*\*

### المبحث الثالث

#### أثر مراعاة المخاطب عند سيبويه في الترتيب

أشار سيبويه في عدة مواضع من كتابه إلى ترتيب العناصر التركيبية داخل الجملة،  
والأصلي من ذلك والفرعي، وما يحسن منه وما يقبح.  
ومن أهم مسأله في ذلك الترتيب في الضمائر والترتيب داخل الجملتين الاسمية  
والفعلية، وهو لا ينفك في حديثه عن ذلك يربط الترتيب بالمعاني التداولية. ويستحضر  
طرفي الخطاب، وهما المتكلم والمخاطب.  
وفيما يلي تفصيل لبعض هذه المسائل:

#### 1- الترتيب بين الضمائر:

ذكر سيبويه أنه إذا اجتمع المتكلم والمخاطب بدئ بالمتكلم؛ لأنه الأقرب، فيقال  
أعطانيك، وكذا يبدأ بالمتكلم قبل الغائب فيقال: «أعطانيه فإن بدأ بالمخاطب قبل نفسه فقال  
أعطاكني أو بدأ بالغائب قبل نفسه فقال: أعطاهوني فهو قبيح لا تكلم به العرب» (55).  
وكذا إذا اجتمع المخاطب والغائب بُدئ بالمخاطب فيقال: «أعطيتكه» وقال: «أعطاكه».  
وقد علل سيبويه ذلك بأن المخاطب أقرب إلى المتكلم من الغائب: «فكما كان المتكلم  
أولى بأن يبدأ بنفسه قبل المخاطب، كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب أولى بأن يبدأ  
به من الغائب» (56).

فإن بدأت بالغائب فقلت: «أعطاهوك فهو في القبح، وأنه لا يجوز بمنزلة الغائب  
والمخاطب إذا بدئ بهما قبل المتكلم، ولكنك إذا بدأت بالغائب قلت قد أعطاه إياك» (57).  
ومن الواضح هنا أنه يركز على مراعاة حال المخاطب من حيث القرب والبعد،  
وهو مبدأ هام من المبادئ التداولية؛ لأن فيه ترتيباً للألفاظ على حسب ترتيب الأحداث في  
الواقع، وهو مظهر من مظاهر انسجام الخطاب يسميه علماء التداولية بالترتيب العادي  
للوقائع (58).

#### 2- الترتيب في عناصر الجملة الاسمية:

تناول سيبويه الترتيب بين عناصر الجملة الاسمية سواء منها الأصلية أم المنسوخة،  
وأسس كلامه على مبدأ عام وهو أن الترتيب بين أجزاء الجملة يخضع للعناية والاهتمام.  
وقد تحدث سيبويه في إطار ذلك عن التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر، وفي جملتي  
"كان" و"إن" والناسختين للمبتدأ والخبر.

وهو يرى - كغيره من النحاة -: أن الأصل في المبتدأ التقديم، وفي الخبر التأخير.  
ولذا يسمي المبتدأ الاسم الأول (59) ويقول: «واعلم أن الاسم أول أحواله الابتدائية»  
(60) ويقول: «فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد والنكرة قبل المعرفة» (61).

#### د. مصطفى أحمد عبد العليم

وهو يرى أن المبتدأ معروف لدى المخاطب وأن المخاطب ينتظر بعده الخبر؛ لأنك إذا ابتدأت الاسم فإنما تبتدئه لما بعده، فإذا ابتدأت فقد وجب عليك مذكور بعد المبتدأ لا بد منه، وإلا فسد الكلام<sup>(62)</sup>.

ومعنى ذلك أن سيبويه يرى أن الغرض من ذكر الخبر هو إفادة المخاطب، وهذه الإفادة هي ثمرة الإسناد الكائن بين المبتدأ والخبر، وهو سر التقاهم بين المتكلم والمخاطب. وهو في هذا يلتقي مع أحدث النظريات النحوية الحديثة ولاسيما نظرية النحو الوظيفي التي ترى أن البنية اللغوية تابعة للوظيفة.

لقد اهتمت المدرسة الوظيفية بمكونات الجملة وأحوالها وقد عبر "ماثيوس" عن أفكاره في شكل ثنائيات متميزة تتعلق بطرفي الجملة الأساسيين وهما ثنائية الموضوع والمحمول، وثنائية المتقدم والمتأخر، وثنائية المسلمة والإضافة.

فالمقدم هو الشيء المتحدث عنه الذي يفترض المتكلم معرفة المخاطب له، والمتأخر هو الجزء المتمم للجملة الذي يضيف معلومات جديدة للمخاطب، والمسلمة هي ما يقدمه المتكلم من معلومات يدركها السامع، والإضافة ما يقدمه المتكلم من معلومات لا يدركها السامع<sup>(63)</sup>.

وقد اتفق نحاة العربية على أن الجملة لا تسمى جملة ولا كلاماً حتى يكون لها معنى يفهمه السامع وإلا كانت لغواً، ولذا قالوا في تعريف الكلام: "هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"<sup>(64)</sup>. وقالوا في تعريف الخبر: "هو الجزء الذي تتم به مع المبتدأ الفائدة"<sup>(65)</sup> قال ابن مالك<sup>(66)</sup>:

#### أ- والخبر الجزء المتم الفائدة ت- كالله بر والأيايدي شاهدة

وبمراجعة هذا القانون اللغوي قاربوا بين مفهوم الإفادة ومقولة التعريف والتكثير، ويربط سيبويه بين هذين المفهومين ربطاً واضحاً فاشتراط في المسند إليه المبتدأ ألا يكون نكرة محضة مخافة الإخلال بـ «الإفادة» التي هي غرض تواصلها<sup>(67)</sup>، وذلك في مثل: "كان إنسان حليماً"، و"كان رجل منطلقاً"، يقول سيبويه: «واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة – يعني باب كان – فالذي تشغل به كان المعرفة؛ لأنه حد الكلام؛ لأنهما شيء واحد، وهما في كان بمنزلةتهما في الابتداء إذا قلت: عبدالله منطلق تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك: كان زيد حليماً، وكان حليماً زيد لا عليك أقدمت أم أخرت، فإذا قلت: كان زيد، فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر، فإذا قلت: حليماً، فقد أعلمته مثل ما علمت، فإذا قلت: كان حليماً فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة فهو مبدوء به في الفعل، وإن كان مؤخرًا في اللفظ، فإن قلت: كان حليماً أو رجل فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور»<sup>(68)</sup>.

وما نلاحظه هنا في كلام سيبويه هو تصريحه المتتابع والمستمر بحالة المخاطب من حيث انتظار الخبر والاستفادة وعدم الاستفادة من الكلام، وهذا التعاون المستمر بين طرفي الخطاب في تحصيل الفائدة، ثم إشارته الدقيقة إلى أن المبتدأ مقدم بالفعل أو بالقوة، وأن الخبر هو ما يحمل المعلومة الجديدة للمخاطب تدل دلالة واضحة على قوة الوعي الوظيفي لديه.

**أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية**  
وقد سبق أن ألمحنا إلى أن مبدأ التعاون من المبادئ الأساسية في النظرية التداولية وهو  
المبدأ الذي أرساه (جرايس) في بحثه الموسوم المنطق والحوار (69).  
ويشير أصحاب الاتجاه الوظيفي اليوم إلى ما يسمى ببؤرة الجديد، ويقصدون  
بالبؤرة المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب (70). ويميزون بين ما يسمى  
بالمسلمة given والإضافة new، فالمسلمة هي ما يقدمه المتكلم من معلومات يدركها  
السامع من مصدر ما في المحيط (أي المقام أو النص السابق) والإضافة هي ما يقدمه  
المتكلم من معلومات لا يدركها السامع من مصادر أخرى (71).  
وفي حديثه عن جملة كان الاستفهامية يقرر سيبويه أن المتكلم ينبغي أن يسأل  
المخاطب عن خبر من هو معروف عنده كما في جملة: أسفيهاً كان زيد أم حليماً؟  
فالمعروف هو المبدوء به (72).

ويعلل ذلك بأن الابتداء بالنكرة فيه لبس على المخاطب «ألا ترى أنك لو قلت: كان  
إنسان حليماً أو كان رجل منطلقاً كنت تلبس؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان  
هكذا» (73).

وفي حديثه عن جملة "إن وأخواتها" يقرر سيبويه أن الأصل أن يكون اسم "إن"  
معرفة وخبرها نكرة؛ لأنهما بمنزلة المبتدأ والخبر، فإن استويا في التنكير كانت النكرة  
المخصصة أولى بأن تكون اسماً لـ "إن" من غير المخصصة؛ لأن المخاطب يحتاج إلى أن  
تعلمه هنا كما يحتاج إلى أن تعلمه في قولك: «ما كان أحد فيها خيراً منك» (74)  
ويذكر سيبويه أن العناية والاهتمام في هذا الباب مثله في باب كان وأخواتها يعني  
أن الذي يقدم هو الأهم والأعنى. والاهتمام مقصد من المقاصد التداولية التي تعد قاسماً  
مشترکاً بين المتكلم والمخاطب.

### 3- الترتيب في عناصر الجملة الفعلية:

تحدث سيبويه عن التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، فذكر أن الأصل أن يقدم  
الفاعل على المفعول فيقال: "ضربت زيداً"، ويجوز أن يقال: "زيداً ضربت" بتقديم  
المفعول على الفعل والفاعل لضرب من العناية والاهتمام بالمفعول، وقد صرح بهذا  
المقصود بقوله: «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم يبيانه أعنى، وإن كانا جميعاً  
يهمانهم ويعنيانهم». (75)

وذكر في موضع آخر: «وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك عربياً جيداً  
يعني ضربت زيداً-وذلك قولك: زيداً ضربت، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير  
سواء مثله في ضرب زيد عمراً، وضرب عمراً زيد». (76)

وقد سبقت الإشارة إلى أن العناية والاهتمام مقصد من المقاصد التداولية، وفيه  
مراعاة للمخاطب؛ لأن المتكلم يريد أن يبين للمخاطب أن هذا الأمر مهم.

ومن أبرز المواضع التي تناول فيها سيبويه ترتيب الجملة الفعلية جملة الحوار بين  
المتكلم والمخاطب، حيث ترتب الجملة في الجواب كما رتبت في السؤال، فإن كان السؤال  
قد بنى كلامه على أن الجملة فعلية كما في قول الرجل: من رأيت؟ وأيهم رأيت؟ فنقول:  
زيداً رأيت، تنزله منزلة قولك: كلمت عمراً، وزيداً لقبيته، ألا ترى أن الرجل يقول: من  
رأيت؟ فنقول: زيداً على كلامه، فيصير هذا بمنزلة قولك: رأيت زيداً وعمراً". (77)



**أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية**  
وأوضح سيبويه في مفاضلته بين النعوت أن النعت باسم الإشارة أخص من النعت بالمعرف بآل فينبغي أن يبدأ به أولاً؛ لأن اسم الإشارة يفيد معرفة العين على حين أن المعرف بآل يفيد معرفة القلب، ومعرفة العين أقرب وأوضح. يقول سيبويه: «وإنما منع هذا أن يكون صفة للطويل والرجل أن المخبر أراد أن يقرب به شيئاً، ويشير إليه لتعرفه بقلبك وعينك، دون سائر الأشياء، وإذا قال: الطويل فإنما يريد أن يعرفك شيئاً بقلبك، ولا يريد أن يعرفك بعينك، فلذلك صار هذا ينعت بالطويل، ولا ينعت الطويل بهذا؛ لأنه صار أخص من الطويل حين أراد أن يعرفه شيئاً بمعرفة العين ومعرفة القلب. وإذا قال الطويل فإنما عرفه شيئاً بقلبه دون عينه فصار ما اجتمع فيه شيئان أخص» (82).

### ح- منع اللبس في المنعوت:

من الأغراض التداولية للنعت أيضاً منع اللبس الواقع في المنعوت، وقد بين سيبويه ذلك في حديثه عن نعت العَلَمِ إذ يقول: «وقد تقول: كان زيد الطويل منطلقاً إذا خفت التباس الزيدين» ووضح أن اللبس الذي يزيله النعت هنا متعلق بالمخاطب.

#### أ. قطع النعت عن المنعوت للمدح أو الذم:

الأصل في النعت أنه كالخبر في أنه حكم على المنعوت كما أن الخبر حكم على المبتدأ، والفائدة التي يقدمها النعت للمنعوت من التخصيص أو التوضيح أو التأكيد إنما هي فائدة إخبارية.

لكن النعت قد يأتي لتحقيق فوائد أخرى غير إخبارية كالمدح والذم والتعظيم وغير ذلك. ويسمى هذا في النظرية التداولية المعاصرة بالمعنى المستخرج أو الفعل الإنجازي» (83).

وقد أشار سيبويه إلى هذه الفوائد غير الإخبارية للنعت في أكثر من موضع من كتابه ففي تعليقه على قول الخرنق (84):

سُم العداة وأفة الجزر

لا يبعدن قومي الذين هم

والطيبون معاقد الأزر

النازليين بكل معترك

يرى أن النازليين منصوب على المدح، وهو نعت مقطوع عن منعوته؛ لأنه لو جرى على منعوته لرفع مثله.

وفي تعليقه على قول ابن خياط العكلي (85):

إلا نميراً أطاعت أمر غاويها

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم

والقائلون لمن دار نخليها

الظاعنين ولما يظعنوا أحداً

يرى أن القائلين في رواية النصب منصوب على الشتم أي الذم. قال سيبويه: «ومن العرب من يقول الظاعنون والقائلين فنصبه كنصب الطيبين إلا أن هذا شتم لهم وذم كما أن الطيبين مدح لهم وتعظيم» (86).

ويعني هنا أنه أشار إلى غرضين من الأغراض التداولية وهما المدح والذم؛ لأن هذين الغرضين يتعلقان بقصد المتكلم وفهم المخاطب كذلك.

د. مصطفى أحمد عبد العليم

ومن ذلك أيضا توجيهه لقوله تعالى: (كَيْ يَكْ كَيْ) [المسد: 4] بنصب حمالة حيث يرى سيبويه أن حمالة ليس خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: اذكر حمالة الحطب شتمًا لها، وإن كان فعلاً لا يستعمل إظهاره» (87).  
وفي تعليقه على قول عروة الصعاليك (88):

سَقُونِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْنُفُونِي  
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ  
يقول: «إنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين» (89) يعني أن الشاعر هنا قد راعى جانب المخاطب فنصب عداة على الذم. وفي قول الشاعر (90):

لَقَدْ حَمَلْتَ قَيْسَ بْنَ عِيْلَانَ حَرْبَهَا  
عَلَى مُسْتَقَلِّ لِلنَّوَابِ وَالْحَرْبِ

أَخَاهَا إِذَا كَانَتْ عَضَاضًا سَمَا لَهَا  
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذُلُولٍ وَمِنْ صَعْبِ

ينقل سيبويه عن الخليل أن نصب هذا على أنك «لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعله ثناءً وتعظيمًا» (91).  
وهو يقصد أن "أخاها" قد نصب على الثناء والتعظيم وهو غرض تداولي من الأغراض التي يرد لها النعت.

\*\*\*

### الفصل الثاني

#### أثر مراعاة المخاطب عند سيبويه في توجيه الأساليب النحوية

تعد دراسة الأساليب من أهم المباحث التي يهتم بها علماء التداولية المعاصرون حيث يقسم بعضهم الأحداث اللغوية إلى: لفظية، وإنجازية، وتأثيرية؛ يقصدون باللفظية ما يلفظه المتكلم من عبارات لغوية طبقاً للقواعد الصوتية، والتركيبية للغة ما، ويقصدون بالإنجازية ما يصحب هذه الأفعال اللفظية من أفعال تعبر عن قصد المتكلم كأن يخبر أو يسأل أو يعد أو ينذر، ويواكب هذه الأفعال؛ الأفعال التأثيرية أي الآثار التي يخلفها التلفظ بالعبارة لدى المخاطب كأن يطرب أو يغضب أو يفعل أو يستبشر أو يخاف إلى غير ذلك من التأثيرات.

وينسب هذا التقسيم إلى "جون أوستين" J. Austin الذي يعد أبا للتداولية، لكن قدم "سورل" من بعده تصنيفاً للأفعال يحصرها في خمسة أنواع:

- 1- الأفعال الحكمية: ويعني بها الأفعال التي تمثل الواقع تمثيلاً صادقاً أو كاذباً.
- 2- الأفعال الأمرية: وهي أفعال يقصد بها المتكلم حمل المخاطب على فعل شيء ما.
- 3- الأفعال الالتزامية: وهي أفعال يلتزم المتكلم بها فعل شيء في المستقبل.

أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية  
4- الأفعال التعبيرية: وهي أفعال تعبر عن حالة نفسية تعينها شروط الصدق حول واقعة  
ما.

5- الأفعال الإنجازية، وهي أفعال يتحقق محتواها القضي إذا توافرت شروط إنجازها  
حين التلفظ ذاته (92).

ويلاحظ أن تقسيم أصحاب النظرية التداولية لهذه الأفعال يشبه إلى حد كبير تقسيم علمائنا  
القدامي من بلاغيين وأصوليين ونحاة للكلام إلى خبر وإنشاء، فما سماه أوستين، وسورل  
بالأفعال الحكمية هو مرادف لما سماه علماؤنا القدامي بالخبر، وما دعاه أوستين وسورل  
بالأفعال الإنجازية هو في الحقيقة ما أطلق عليه علماؤنا العرب الإنشاء (93).  
وبالعودة إلى كتاب سيبويه نجد أنه ميز تمييزاً واضحاً بين الخبر والإنشاء، وبحثهما في  
ضوء علاقة المتكلم بالمخاطب، وتحدث عن أنماط منهما كما يتضح من المبحثين الآتيين:

### المبحث الأول: في الأسلوب الخبري

#### خ- تقسيمات سيبويه للخبر:

فمن تقسيماته للخبر ما ذكره تحت باب الاستقامة من الكلام والإحالة، حيث أورد خمسة  
أقسام للكلام هي:

1- مستقيم حسن مثل: أتيتك أمس، وسأتيك غداً.

2- محال مثل: أتيتك غداً، وسأتيك أمس.

3- مستقيم كذب مثل: حملت الجبل، وشربت ماء البحر.

4- مستقيم قبيح مثل: قد زيداً رأيت، وكي زيد يأتيك.

5- محال كذب مثل: سوف أشرب ماء البحر أمس (94).

وهذه التقسيمات تدل على وعيه بالعلاقة بين النسبتين المعروفتين لدى علماء المنطق،  
وعلماء التداولية المعاصرين، وهما النسبة الكلامية والنسبة الخارجية، والمقصود بالنسبة  
الكلامية العلاقة بين عناصر الكلام المنطوقة بالفعل، فإن كانت هذه العلاقة صحيحة فالكلام  
صحيح، كمثل سيبويه: أتيتك أمس، وإن كان مع صحته مطابقاً للواقع فقد تحققت له النسبة  
الخارجية الواقعية، فهو صادق بتعبير المناطقة، وحسن بتعبير سيبويه.

وإن تخلفت عنه النسبة الكلامية، وتحققت له النسبة الخارجية فهو محال كقولك:  
"أتيتك غداً" فهو خطأ من الناحية اللغوية لما فيه من التناقض بين الزمنين الماضي  
والمستقبل، وإن كانت نسبة الفعل إلى الفاعل صحيحة من الناحية الواقعية. وإن تحققت له  
النسبة الكلامية، وتخلفت عنه النسبة الخارجية فهو مستقيم كذب كقولك: "حملت الجبل"،  
و"شربت ماء البحر".

وإن تحققت له النسبة الخارجية، وضعفت فيه النسبة الكلامية فهو مستقيم قبيح  
كقولك: "قد زيداً رأيت" لاختلال الترتيب.

وإن تخلفت عنه النسبتان الكلامية والخارجية فهو محال كذب كقولك: «سوف  
أشرب ماء البحر أمس» هذا ما يبدو من تفسير كلام سيبويه في هذا الموضع وتجدر  
الإشارة إلى أن استقامة الكلام وقبحه وإحالته لا تتعلق بالكلام ذاته فحسب بل بعلاقة هذا  
الكلام بالعالم الخارجي، وعلاقته بحال المخاطب.

#### 1- التمييز بين الخبر والإنشاء:

#### د. مصطفى أحمد عبد العليم

كان سيبويه على بينة من الفرق بين الخبر والإنشاء في تحليلاته النحوية، وكان يسمي الخبر تارة الخبر، وتارة الواجب، يقصد به الذي وقع بالفعل، ويسمى الإنشاء غير الواجب؛ يعني الذي لم يتحقق مضمونه، وكان يقارب كثيرًا بين الاستفهام والإنشاء.

يقول سيبويه في تحليله لبعض الجمل الاستفهامية: «فإن قلت: «هل زيدًا رأيت؟»، و «هل زيد ذهب؟» قبح ولم يجز إلا في الشعر؛ لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل.. وإنما فعلوا ذلك بالاستفهام؛ لأنه كالأمر في أنه غير واجب، وأنه يريد به من المخاطب أمرًا لم يستقر عند السائل»<sup>(95)</sup>.

فهو هنا يشبه الاستفهام بالأمر في أنه غير واجب؛ أي: لم يتحقق مضمونه، ويشير إلى المتخاطبين، وهما السائل والمخاطب.

وفي حديثه عن «حتى» يرى سيبويه أن الفعل الذي بعدها إذا كان واجبًا وجب رفعه، أما إذا كان غير واجب فلم يكن إلا النصب. يقول: «واعلم أن الفعل إذا كان غير واجب لم يكن إلا النصب من قبل أنه إذا لم يكن واجبًا رجعت «حتى» إلى «أن» و «كي»، ولم تصر من حروف الابتداء»<sup>(96)</sup>. ثم يقول: «فإنما ترفع بـ «حتى» في الواجب، ويكون ما بعدها مبتدأ منفصلًا من الأول»<sup>(97)</sup>.

ومن الواضح هنا أنه يريد بالواجب الخبر.

#### 2- مجيء الخبر بمعنى الإنشاء:

أشار سيبويه في أكثر من موضع إلى أن الخبر قد يتضمن معنى الإنشاء، وهذا من المباحث التواصلية الهامة، التي يسميها علماء التداولية بالاستلزام الحواري، يعنون به الكلام الذي يكون وراء معناه الحرفي معنى مستلزم غير مباشر مثل مجيء الأمر بمعنى التهديد أو السخرية، ومجيء الاستفهام بمعنى الإنكار أو التعجب، وغير ذلك<sup>(98)</sup>. وقد تحدث سيبويه عن مجيء الخبر بمعنى الأمر أو النهي، ومجيئه بمعنى الدعاء.

فمن ورود الخبر بمعنى الأمر والنهي قولهم: "حسبك" و"كفيك"، و"شرعك" وأشباهها تقول: حسبك ينم الناس، ومثل ذلك اتقى الله امرؤ وفعل خيرًا يثب عليه؛ لأن فيه معنى ليق الله امرؤ، وليفعل خيرًا»<sup>(99)</sup>.

ف نجد للعبارة هنا معنيين معنى مباشرًا حرفيًا، وهو "حسبك" التي تعني يكفيك، ومعنى غير مباشر مستلزم وهو «اكتف» ومن ثم صح جزم جوابها وهو ينم. ومن مجيئه بمعنى النهي قول العرب: أنت لا مساس<sup>(100)</sup> ومعناه: لا تمسني ولا أمسك، فالخبر هنا في معنى النهي.

ومن مجيئه بمعنى القسم قولهم: يعلم الله لأفعلن، وعلم الله لأفعلن<sup>(101)</sup> فهو في الظاهر جملة خبرية لكنها في معنى جملة القسم "والله لأفعلن" وجملة القسم إنشائية؛ لأن مدلولها لا يتحقق إلا بعد النطق بالقسم.

ومن مجيئه بمعنى الدعاء قولهم: "رحمة الله عليه" قال سيبويه: «فيه معنى الدعاء كأنه قال: رحمه الله»<sup>(102)</sup>.

والعبارة هنا لها معنيان أيضا: حرفي مباشر وهو الإخبار بالرحمة، ومستلزم غير مباشر وهو سؤال الله الرحمة. فهو إذن خبر في معنى الإنشاء.



د. مصطفى أحمد عبد العليم

ع) [طه: 44]. يقول سيبويه: «فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهباً أنتما في رجانكما وطمعكما ومبتغاكما من العلم، وليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلم». (105)

د- فسيبويه هنا يحرص على تنزيه الله تعالى عن معنى الطمع والرجاء، ويصرفه إلى المخلوقين، وهذا مظهر من مظاهر وعيه بالعقيدة الصحيحة، ومراعاته للمخاطب والمتكلم كذلك.

ذ- أسلوب الاستفهام:

أشار سيبويه إلى أن الاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ آخر يتحقق فيها التواصل بين طرفي الخطاب، ومن هذه المعاني العرض والتوبيخ والتمني كما يتضح مما يلي:

ر- الاستفهام في معنى العرض:

ذكر سيبويه في سياق حديثه عن توكيد المضارع نقلاً عن يونس قولهم: «هل تقولن؟»، و «ألا تقولن؟»، قال: وهذا أقرب؛ لأنك تعرض، فكأنك قلت: «افعل»؛ لأنه استفهام فيه معنى العرض». (106)

ويفهم من ذلك أن العبارة هنا لها معنيان: معنى ظاهر مباشر، وهو الاستفهام، ومعنى باطن غير مباشر، وهو العرض، وهو الذي سوغ توكيد المضارع بالنون، والعرض غرض تداولي يلتقي عليه المتكلم والمخاطب.

ز- الاستفهام في معنى التوبيخ:

أشار سيبويه في بحثه للمفعول المطلق وما أشبهه من المنصوبات إلى مجيء الاستفهام بمعنى التوبيخ؛ ففي عبارة «أتميمياً مرة، وقيسياً أخرى؟!»، يقول سيبويه: «وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل، فقلت: «أتميمياً مرة، وقيسياً أخرى؟!»، كأنك قلت: «أنتحول تميمياً مرة، وقيسياً أخرى؟!»، فأنت في هذه الحال تعمل على تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به .. ولكنه وبخه بذلك». (107)

إن سيبويه هنا في إيضاحه لدلالة الاستفهام يستحضر طرفي الخطاب، وهما المتكلم والمخاطب، وسياق الحال، وهو هنا التلون والتنقل؛ مما يؤكد وعيه بعناصر الخطاب والتداول.

ج- الاستفهام في معنى التمني:

وفي عبارة «ألا غلام أفضل منك» يرى سيبويه وجوب نصب أفضل؛ لأن الاستفهام هنا دخله معنى التمني، وصار مستغنياً عن الخبر كاستغناء «اللهم غلاماً»، ومعناه: «اللهم هب لي غلاماً» (108). وهذا بخلاف من قال: «لا غلام أفضل منك»، فإن الاسم الأول يحتاج إلى الخبر، وهو «أفضل»، ولم يدخله معنى التمني.

والتمني من المعاني التداولية التي تتحقق فيها العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وقد يبدو في بعض الأحيان خاصاً بالمتكلم؛ حيث يعبر به عن خلجات النفس وأحلامها، ولكنه في أحيان كثيرة لا يتصور إلا مع وجود مخاطب يوجه إليه هذا التمني؛ لأنه طلب، والطلب يقتضي مطلوباً.

أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية  
يقول السكاكي عن التمني: «هو أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعاً فيه مع حكم العقل بامتناعه»<sup>(109)</sup>.

### 3- أسلوب النداء:

من أكثر الموضوعات ارتباطاً بمراعاة حال المخاطب: النداء؛ لأن معناه: استدعاء المخاطب ليقبل على الداعي، وقيل في بعض تعاريفه: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة<sup>(110)</sup>، ومن ثم عدّه بعض النحاة من الأساليب الإنشائية؛ لأن فيه معنى الطلب.

وقد اعتنى سيبويه بهذا الأسلوب كثيراً، فتحدث عن أحواله التركيبية والصوتية، وأحوال المنادى مفرداً ومضافاً، ومعرفة ونكرة، ويعيننا من ذلك ما كان متعلقاً بالتغيرات الدلالية والأغراض التداولية.

ففي حديث سيبويه عن أحرف النداء ميّز بين المنادى القريب والمنادى البعيد، وأخبر أنه قد ينزل القريب منزلة البعيد، والبعيد منزلة القريب، فتستعمل الهمزة التي لنداء القريب في نداء البعيد، ويستعمل ما عداها في نداء القريب توكيداً، وقد لخص سيبويه ذلك كله في عبارة جامعة دقيقة فقال: «فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء بـ «يا» و «أيا» و «هيا» و «أي»، وبالألّف نحو قولك: «أحار بن عمرو» ... إلا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المترخي عنهم، أو الإنسان المعرض عنهم الذي يرون أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد، أو النائم المستقل، وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها ..»<sup>(111)</sup>.  
إن سيبويه هنا يشير إلى أحوال مختلفة للمخاطب، فمنه المترخي، ومنه المعرض، ومنه النائم المستقل، ومنه القريب، ومنه البعيد؛ ولكل حال من هذه الأحوال ما يناسبها من أحرف النداء.

كما أشار أيضاً إلى أن القريب قد ينزل منزلة البعيد، وأن البعيد قد ينزل منزلة القريب، وأنه يجوز حذف أحرف النداء مبالغة في تقريب المخاطب، وهذا كله دليل على أثر مراعاة المخاطب في الأساليب النحوية وأغراضها التداولية.  
وأما فيما يتعلق بالتغير الدلالي لأسلوب النداء فقد أشار سيبويه إلى أنه قد يأتي للتعجب؛ كما في قولهم: «يا للعجب!»، و «يا للماء!» لما رأوا عجباً، أو رأوا ماءً كثيراً؛ كأنه يقول: «تعال يا عجب»، أو «تعال يا ماء»؛ فإنه من أيامك وزمانك<sup>(112)</sup>. فهو يفسر ذلك على أنه نداء، والمخاطب هنا غير عاقل، فلا يتأتى منه أن يكون مخاطباً أو مدعوّاً؛ ولذلك احتل النداء هنا معنى مجازياً، وهو التعجب، وهو من قبيل الاستلزام الحوارية لدى المعاصرين. ومثل ذلك قولهم: «يا لدواهي!»؛ أي: تعالين، فإنه لا يستنكر لکن؛ لأنه من إبانكن وأحيانكن، وكل هذا في معنى التعجب والاستغاثة<sup>(113)</sup>.  
وهو يرى أن أصل الاستغاثة النداء، لكنها جاءت على شكل مخصوص، وبشروط مخصوصة. ومنها: أن «يا» لازمة للاستغاثة لا تفارقها، وأنه لا يحل محل «يا» غيرها من أحرف النداء، وأنه تلزم اللام المفتوحة قبل المستغاث به؛ نحو قولهم: «يا لله للمسلمين»، و «يا لزيد».

د. مصطفى أحمد عبد العليم

وهو يشير إلى أن المخاطب في الاستغاثة بعيد فيقول: «ألا ترى أنك لو قلت: «يا لزيد» وأنت تحدثه لم يجز»<sup>(114)</sup>. وهنا نلاحظ تعمق سيبويه في فهم السياق التداولي لأسلوب الاستغاثة.

وإذا كسرت اللام تمحضت «يا» للتنبيه، أو كان المنادى مقدرًا؛ نحو قولهم: «يا للعجب!»، و «يا للماء!»، وكأنه نبه بقوله: «يا» غير الماء للماء»<sup>(115)</sup>، ومن ذلك قولهم: «يا ويل لك»، و «يا ويح لك»؛ كأنه نبه إنسانًا، ثم جعل الويل له. والمندوب في الأصل منادى. قال سيبويه: «اعلم أن المندوب مدعو، ولكنه متفجع عليه»<sup>(116)</sup>، فهو إذن مخاطب مخصوص، وبه يخرج النداء عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، ولا سيما إذا كان المندوب غير عاقل؛ كما في قول الشاعر:<sup>(117)</sup>

تَبْكِيهِمْ دَهْمَاءُ مُعَوْلَةٌ      وَتَقُولُ سَلْمَى وَارَزِيَّتِيَهْ

وقد يكون الغرض فيها التوجع مما يؤلم كما في قولك: «وانقطع ظهرياه». وأشار سيبويه إلى أنه لا يجوز ندبة المبهم، فلا يقال: «وارجلاه»، ولا «واهداه»؛ لأنك إذا نذبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تخصّ ولا تبهم؛ لأن الندبة على البيان...»<sup>(118)</sup>.

وإنما كرهوا ذلك أنه تفاحش عندهم أن يختلطوا وأن يتفجعوا على غير معروف.. لأنك إذا نذبت تخبر أنك قد وقعت في عظيم، وأصابك جسيم من الأمر، فلا ينبغي لك أن تبهم.<sup>(119)</sup>

ومن هذا يتضح أن مراعاة المخاطب قد اقتضت منع ندبة المنكر والمبهم؛ لعدم وجود الفائدة للمخاطب.

#### 4- أسلوب الاختصاص:

المقصود بالاختصاص هنا هو الاسم المعمول لفعل واجب الحذف تقديره: «أخص»؛ كما في قولهم: «نحن -العرب- أقرى الناس للضيف»، و «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة». وقد تناول سيبويه هذا تحت باب «ما جرى على حرف النداء وصفًا له، وليس بمنادى ينبهه غيره»<sup>(120)</sup>.

والتحول الدلالي يأتي في هذا الأسلوب من أكثر من وجه، فالوجه الأول أنه يأخذ صورة النداء، ويفيد معنى غير معناه من حيث إنه لا ينادى غيره، ولكن يخص نفسه بشيء، والوجه الثاني أن المقصود فيه ليس مجرد الإخبار، وإنما هو التخصيص، أو التأكيد، أو الاقتراح.

وقد بين سيبويه كل ذلك؛ فأما موافقته للنداء في الصورة ومخالفته له في الغرض فيظهر من قول سيبويه: «وأردت أن تختص ولا تبهم؛ حيث قلت: «أيتها العصابة» و «أيها الرجل» أراد أن يؤكد؛ لأنه قد اختص حين قال: «أنا»، ولكنه أكد كما تقول للذي هو مقبل عليك بوجهه مستمع منصت لك: «كذا كان الأمر يا أبا فلان» توكيدًا، ولا تدخل «يا» هنا؛ لأنك لست تنبه غيرك»<sup>(121)</sup>.

ويريد سيبويه هنا أن يقول: إن الاختصاص أشبه النداء من حيث إن فيه تأكيدًا للخطاب، وتخصيصًا للمخاطب، وهو من هذه الوجة يعد أسلوبًا تداوليًا يربط بين المتكلم والمخاطب.

أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية ويفترق عن النداء في أنه لا يذكر معه «يا»؛ لأن الغرض فيه ليس تنبيه الغير. وأما التحول الثاني، وهو مجيئه لغير الإخبار؛ فيظهر من قول سيبويه: «قوله: «إنا بني فلان نفعل كذا». لا يريد أن يخبر من لا يدري أنه من بني فلان، ولكنه ذكر ذلك افتخارًا وابتهاء» (122).

وهذا الافتخار لا شك هو غرض تداولي يتعلق بقصد المتكلم، ويسميه علماء التداولية بـ "الفعل التعبيري" يقصدون الذي يتعلق بتعبير المتكلم عن قصده ومشاعره.. وهو أيضا متعلق بالمخاطب؛ لأن المقصود هو إظهار هذا الافتخار أمام المخاطب. ويقول سيبويه تعليقًا على قول الفرزدق: (123)

ألم تر أنا بنى دارم زُرارة منّا أبو معبد

«فإنما اختص الاسم هنا ليعرف بما حل على الكلام الأول، وفيه معنى الافتخار» (124) ويشير سيبويه أيضًا إلى أن أسلوب الاختصاص لا يتأتى فيه الإبهام؛ لأن الغرض فيه البيان والتوضيح للضمير السابق. قال: «واعلم أنه لا يجوز لك أن تبهم في هذا الباب فنقول: «إني هذا أفعل كذا وكذا»، ولكن نقول: «إني زيدًا أفعل»، ولا يجوز أن تذكر إلا اسمًا معروفًا؛ لأن الأسماء إنما تذكرها توكيدًا وتوضيحًا هنا للمضمر وتذكيرًا، وإذا أبهمت فقد جئت بما هو أشكل من المضمر» (125).

#### الخاتمة

وبعد، فلعله قد اتضح كيف أن سيبويه كان على وعي بالأبعاد التداولية للتراكيب النحوية، وكيف كانت عينه دومًا على المخاطب في علاقته بالمتكلم، وفي علاقته بالبنية اللغوية. ومن الأغراض التداولية التي ألمح إليها سيبويه في تحليلاته النحوية: الإفادة، وذلك في تناوله لموضوع المبتدأ والخبر.

ومنها: منع اللبس، وذلك في حديثه عن ضرورة التمييز بين المذكر والمؤنث. ومنها: التأكيد، وذلك في حديثه عن الزيادة.

ومنها: كذلك البيان، وإزالة الوهم، والتنبيه، والتوضيح، والتخصيص، والعرض والتخصيص، والتوبيخ والتهديد، والإنكار والتعجب، والمدح والذم، والتمني والترجي، والنداء، والاختصاص، والندبة، والاستغاثة، والتوجع، والافتخار والتعظيم، والترحم. وأشار سيبويه أيضًا إلى عدة أفكار تلتقي مع النظرية التداولية في أهم مبادئها ومنها مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب والتأدب في التعبير والمواءمة بين الكلام في السياقين الحالي والمقامي، ومطابقة كلام المسئول لكلام السائل في الحوار، والاستلزام الحوارية ونظرية الأفعال الكلامية، وترتيب الخطاب. وبؤرة الجملة، وبؤرة الجديد، والمسلمة والإضافة، وغير ذلك مما فصلناه في البحث.

وكل ذلك يؤكد دور العلماء العرب في إرساء الفكر التداولي الذي أصبح له نظرية وأتباع كثيرون في العصر الحديث.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. مصطفى أحمد عبد العليم

---

\*\*\*

---

مجلة بحوث كلية الآداب

1102

المراجع

- الأخطل، غياث بن غوث بن الصلت (ت90هـ)، ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994.
- الأزهرى، خالد بن عبد الله بن أبي بكر، (ت905هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
- الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، (ت900هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمغ، (ت216هـ)، الأصمعيات، ت: احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط7، 1993.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، (ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط1، 2003.
- البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن، (ت659هـ)، الحماسة البصرية، ت: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت وش: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف، ط1، 1344هـ.
- تغزاوي، يوسف، الوظائف التداولية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014.
- ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار (ت291هـ)، مجالس ثعلب، ت: عبد السلام هارون، دار المعارف ط2، 1948.
- ابن الحاجب؛ عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت646هـ) أمالي ابن الحاجب، ت: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، 1989.
- حسنين، صلاح الدين صالح، الدلالة والنحو. القاهرة مكتبة الآداب، ط1، بدون تاريخ.
- الخطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
- دايبك، فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت321هـ)، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط1، 1414هـ.
- السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي، (ت773هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.

د. مصطفى أحمد عبد العليم

- ابن السراج، محمد بن السري بن سهل (ت 316هـ) الأصول في النحو لابن السراج، ت عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي (ت 626هـ)، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، (ت 180هـ) الكتاب، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت 368هـ) أخبار النحويين البصريين، ت الزيني وخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1966.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ): الاقتراح، ت: الدكتور محمود الفجال، دار القلم، دمشق، 1989.
- شرح شواهد المغني، ت: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، 1966.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
- همع الهوامع، ت: هنداي، عبد الحميد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- شارودو، باتريك ومنغونو، دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة المهيري، عبد القادر، وصمود، حمادي، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.
- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط1، 2004.
- علوي، حافظ إسماعيلي، التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، (ت 855هـ)، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»، ت: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام، القاهرة، ط1، 2010.
- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت 321هـ) شرح معاني الآثار، ت: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، ط1، 1994.
- الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، دلالة السياق، جامعة أم القرى، 1418.
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت 235هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، ت: محمد عوامة، الدار السلفية الهندية.
- الورد، عروة (نحو 30 ق هـ) ديوان عروة بن الورد بشرح ابن السكيت، ت عبد المعين الملوحي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بدون تاريخ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395هـ) الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، ط1، 1997.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة التميمي (ت 110هـ)، ديوان الفرزدق، شرح على الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.
- كشاش، محمد، اللغة والحواس، المكتبة العصرية، بيروت 2001.

- أثر مراعاة المخاطب في التوجيه النحوي عند سيبويه دراسة تداولية
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، جمال الدين، (ت672هـ)، ألفية ابن مالك، مكتبة الآداب، القاهرة، 2001.
  - المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس، (ت285هـ)، المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
  - المتوكل، أحمد:  
دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار البيضاء، ط1، 1986.  
اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط2، 2010.  
الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، دار البيضاء، ط1، 1985.
  - المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ (ت749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: د فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.
  - المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، (ت436هـ)، أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1954.
  - مقبول، إدريس، الأسس الأبتمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006.
  - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
  - ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين، (ت761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
  - ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء، (ت643هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
  - يونس، محمد محمد، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد بنغازي، 2004.

\*\*\*

#### الهوامش

- (1) "كان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مرید أن یقرأ علیه کتاب سبویه یقول له: هل ركبت البحر. تعظيماً له واستصعاباً لما فيه" السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق الزيني وخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1966. ص40.
- (2) لمزيد من التفصيل عن التداولية مفهومها ومبادئها يراجع مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، 2005. 26 وما بعدها. وحافظ اسماعيلي التداوليات، عالم الكتب الحديث الأردن، 2014. ص 17-24.
- (3) ألفية ابن مالك، مكتبة الآداب، القاهرة، 2001. ص 16.
- (4) من المتقارب، لأبي دؤاد في الأصمعيات 191؛ وأمالي ابن الحاجب 1/ 134، 297؛

- وخزانة الأدب 592/9.
- (5) سيبويه 1/ 66، تحقيق هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- (6) صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب ص 30
- (7) السابق نفسه. وانظر في منزلة الإضمار في الفكر التداولي مقبول إدريس الأسس الأبيستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006. ص 314.
- (8) انظر باتريك شارودو ودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة المهدي، عبد القادر، وصمود حمادي المركز الوطني للترجمة، تونس 2008، ص 133.
- (9) انظر في عناصر السياق: الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط1، 2004، ص 44، ودايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني. أفريقيا الشرق، المغرب 2000، ص 255-262.
- (10) سيبويه 1/ 253.
- (11) السابق 1/ 257.
- (12) الطلحي، ردة الله، دلالة السياق، جامعة أم القرى، 1418هـ، ص 241، وانظر الخطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص 53.
- (13) سيبويه 1/ 254.
- (14) السابق 2/ 130.
- (15) السابق 1/ 255.
- (16) انظر السيوطي، جلال الدين، الاقتراح، تحقيق الدكتور محمود الفجال، دار القلم، دمشق، 1989، ص 277.
- (17) سيبويه 1/ 393.
- (18) انظر السابق 2/ 347.
- (19) السابق 1/ 259.
- (20) انظر في مبدأ التعاون؛ الشهري، عبد الهادي. استراتيجيات الخطاب ص 96، وصحراوي، مسعود التداولية عند العلماء العرب ص 33، 34، وحافظ اسماعيلي، التداوليات علم استعمال اللغة ص 108.
- (21) انظر في قواعد التعاون صحراوي، مسعود، التداولية 33، 34. وحافظ اسماعيلي، التداوليات ص 108-109.
- (22) جزء من دعاء منسوب لعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما من الصحابة في قنوت الفجر أخرجه ابن أبي شيبة (106/2، رقم 7027)، والطحاوي (249/1)، والبيهقي (210/2، رقم 2962).
- (23) سيبويه 1/ 49.
- (24) السابق 1/ 245.
- (25) السابق نفسه.
- (26) السابق 1/ 244.
- (27) راجع صحراوي، التداولية ص 207، 208.
- (28) ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت 144/1.

- (29) سيبويه 4 / 199.
- (30) انظر عن لهجة الكسكسة ابن فارس الصاحبى، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، 8 / 1 والسيوطي المزهري في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 1 / 176.
- (31) سيبويه 4 / 199.
- (32) انظر عن الكشكشة ابن فارس الصاحبى 1 / 8، والسيوطي المزهري 1 / 175.
- (33) سيبويه 1 / 383.
- (34) السابق نفسه.
- (35) السابق 2 / 418.
- (36) يعد الحوار ركناً أساسياً من أركان النظرية التداولية ويعتبره أصحاب تحليل الخطاب أشد أشكال اللغة صبغة طبيعية، ويرى بعضهم أن التوجه التحواري هو بطبيعة الحال ميزة كل خطاب، انظر المهيري وصمود معجم تحليل الخطاب 170 - 171.
- (37) انظر سيبويه 2 / 419 وما بعدها.
- (38) انظر السابق 2 / 420 وما بعدها.
- (39) انظر في مفهوم الملاءمة صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب ص 36.
- (40) سيبويه 2 / 422.
- (41) انظر في الأفعال الإنجازية المتوكل، أحمد. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 105 الدار البيضاء ط1، 1986.
- (42) انظر سيبويه 4 / 159، 160.
- (43) انظر السابق 4 / 161.
- (44) من مجزوء الكامل، لعبيد الله بن قيس الرقيات في خزانة الأدب 11 / 213، 216؛ وشرح أبيات سيبويه 2 / 375، وشرح شواهد المغني 1 / 126؛ وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب 354؛ وجمهرة اللغة 61؛ والجني الداني 399.
- (45) سيبويه 4 / 162.
- (46) السابق نفسه.
- (47) السابق 4 / 163.
- (48) مذهب البصريين أن الضمير هو "أن" وزيدت الألف لبيان الحركة بدليل حذفها وصلًا، ومذهب الكوفيين أن الضمير هو المجموع بدليل إثباتها وصلًا في لغة. انظر السيوطي، همع الهوامع، ت هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 236/1.
- (49) سيبويه 4 / 166.
- (50) السابق 2 / 220.
- (51) السابق 2 / 220.
- (52) انظر السابق 2 / 224.
- (53) انظر صحراوي، التداولية ص 207.
- (54) سيبويه 2 / 210.
- (55) سيبويه 6 / 1.
- (56) السابق 1 / 164.
- (57) السابق نفسه.
- (58) انظر في ترتيب الخطاب فان دايك النص والسياق 15 ومحمد الخطابي لسانيات النص ص 38.

- (59) سيبويه 23/1.
- (60) السابق نفسه.
- (61) السابق 24/1.
- (62) السابق 389/2.
- (63) راجع في هذه الثنائيات، تغزاوي، يوسف، الوظائف التداولية، عالم الكتب الحديث، الأردن 2014، ص7، ومحمد محمد يونس مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد بنغازي، 2004. ص71.
- (64) راجع في تعريف الكلام ابن هشام أوضح المسالك تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 33/1.
- (65) راجع في تعريف الخبر السابق 193/1.
- (66) ابن مالك، الألفية ص15.
- (67) راجع في علاقة الإفادة بالمبادئ التداولية صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب ص 189-191.
- (68) سيبويه 48/1.
- (69) راجع في مبدأ التعاون الشهري عبد الهادي استراتيجيات الخطاب ص 96.
- (70) المتوكل، أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية ص 28.
- (71) انظر يونس، مدخل إلى اللسانيات ص 71.
- (72) سيبويه الكتاب 48/1.
- (73) السابق الكتاب 48/1.
- (74) السابق الكتاب 143/1.
- (75) السابق الكتاب 6/1.
- (76) السابق نفسه.
- (77) انظر السابق 94/1.
- (78) السابق 132/3.
- (79) شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت. ط1، 2001. ج 3 ص 47.
- (80) سيبويه 429/1.
- (81) انظر السابق 87/1.
- (82) السابق 90/1. وفي هذا إشارة أيضًا إلى ما يسمى في الدراسات الحديثة بلغة الجسد. إذ يذكر علماء التداولية أن الإشارات الجسمية لها دور كبير في إكمال الكلام أو توضيحه، وكذا في إرسال رسائل تواصلية عديدة للمخاطب للمزيد عن ذلك يراجع حسام الدين، كريم زكي: الإشارات الجسمية، دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل 31-37، مكتبة الأنجلو المصرية ط1، 1991. ومحمد كشاش، اللغة والحواس. المكتبة العصرية، بيروت 2001. ص27.
- (83) انظر في الفعل الإنجازي؛ المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 105، 106، وصحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 42.
- (84) من الكامل في الحماسة البصرية 1/ 227؛ وخزانة الأدب 5/ 41، 42، 44؛ وشرح أبيات سيبويه 2/ 16؛ وشرح التصريح 2/ 116؛ 6؛ وشرح الأشموني 2/ 399.
- (85) من البسيط في شرح أبيات سيبويه 2/ 21؛ والكتاب 2/ 64؛ ولابن حماط العكلي في خزانة الأدب 5/ 42؛ وبلا نسبة في الإنصاف 2/ 470؛ ولسان العرب 13/ 270 (ظعن)؛

- وتاج العروس 362/18 (ظعن).  
(86) سيبويه 1/ 104.  
(87) انظر السابق 1/ 105.  
(88) من الوافر، لعروة بن الورد في ديوانه 58 تحقيق (الملوحي)، والكتاب 2/ 70؛ ولسان العرب 1/ 170 (نساء)، 5/ 301؛ وبلا نسبة في أمالي المرتضى 1/ 206؛ ومجالس ثعلب 2/ 417، ورواية الديوان النسء بدل الخمر.  
(89) انظر سيبويه 1/ 105.  
(90) البيتان من الطويل، لذي الرمة في الكتاب 2/ 65؛ وهما للأخطل في ديوانه 25، (تحقيق مهدي محمد ناصر الدين) بألفاظ مختلفة، وشرح أبيات سيبويه 1/ 508؛ والأول منهما للأخطل في لسان العرب 6/ 109 (سيس).  
(91) سيبويه 1/ 106.  
(92) انظر في تقسيم الأفعال اللغوية صحراوي، مسعود، التداولية 40 - 42 والمتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي 108- 109.  
(93) راجع في علاقة فكرة الخبر والإنشاء بالنظرية التداولية صحراوي، مسعود التداولية 49، والمتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي 97.  
(94) انظر سيبويه 1/ 26.  
(95) السابق 1/ 98.  
(96) السابق 3/ 23.  
(97) السابق 23/ 25.  
(98) انظر في معنى الاستلزام الحوارية المتوكل دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 93 وما بعدها. وتغزاوي، الوظائف التداولية ص 125.  
(99) سيبويه 3/ 100.  
(100) انظر السابق 3/ 275.  
(101) انظر السابق 3/ 504.  
(102) انظر السابق 1/ 314.  
(103) السابق 1/ 142.  
(104) انظر حسنين، صلاح الدين الدلالة والنحو 213.  
(105) سيبويه 1/ 330.  
(106) السابق 3/ 513.  
(107) السابق 1/ 342.  
(108) السابق 2/ 309.  
(109) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم 303 تعليق نعيم زرزور.  
(110) السبكي بهاء الدين، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص 2/ 333.  
(111) سيبويه 2/ 229.  
(112) السابق 2/ 217.  
(113) السابق 2/ 218.  
(114) السابق 2/ 218.  
(115) السابق 2/ 218 و219.  
(116) السابق 2/ 220.

- (117) من الكامل، لعبيد الله بن قيس الرقيّات في شرح أبيات سيبويه 1/ 549؛ وشرح التصريح 2/ 181؛ والكتاب 2/ 221؛ والمقاصد النحويّة 4/ 274؛ وبلا نسبة في المقتضب 4/ 272. ويروى أسماء بدل دهماء.
- (118) انظر سيبويه 2/ 227.
- (119) السابق 2/ 227.
- (120) السابق 2/ 231.
- (121) السابق 2/ 232.
- (122) السابق 2/ 66.
- (123) من المتقارب، للفرزدق في ديوانه 1/ 155؛ والكتاب 2/ 234.
- (124) السابق 2/ 234.
- (125) السابق 2/ 236.